رحمه اللَّه محمود السيرة والسريرة متعففاً قانعاً باليسير طارحاً للتكلف منجمعاً عن الناس مشتغلاً بخاصة نفسه صابراً على نوائب الزمن وحوادث الدهر مع كثرة ما يطرقه من ذلك محافظاً على أمور دينه مواظباً على الطاعة مؤاثراً للفقراء بما يفضل عن كفايته غير متصنع في كلامه ولا في ملبسه لا يبالي بأي ثوب برز للناس، ولا في أي هيئة لقيهم. وكان سليم الصدر لا يعتريه غلٌّ ولا حقد ولا سخط ولا حسد، ولا يذكر أحداً بسوءٍ كائناً من كان، مُحسناً إلى أهله قائماً بما يحتاجونه متعباً نفسه في ذلك صابراً محتسباً لما كان يجري عليه من بعض القضاة الذين لهم كلمة مقبولة وصولة، مع كونه مظلوماً في جميع ما يناله من المحن ونوائب الزمن. والحاصل أنه على نمط السلف الصالح في جميع أحواله. ولقد كان تغشّاه اللَّه تعالى برحمته ورضوانه من عجائب الزمن، ومن عرفه حق المعرفة تيقَّن أنه من أولياء اللَّه. ولقد بلغ معي إلى حدٍّ من البرِّ والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه اللَّه خيراً، وكافاه بالحسنى. وهو زاهد من الدنيا ليس له نهمة في جمع ولا كسب بل غاية مقصوده منها ما يقوم بكفاية أرحامه، فإنَّه استمرَّ في القضاء أربعين سنة، وهو لا يملك بيتاً يسكنه فضلاً عن غير ذلك، بل باع بعض ما تلقاه ميراثاً من أبيه من أموالٍ يسيرة في وطنه، ولم يترك عند موته إلا أشياء لا مقدار لها. وقرأت عليه رحمه اللَّه في أيام الصغر في شرح الأزهار، وشرح الناظري مع غيري من الطلبة. وهو في آخر أيامه قرأ عليّ في صحيح البخاري، ولم يزل مستمراً على حاله الجميل مُعرضاً عن القال والقيل، ماشياً على أهدى سبيل، حتى (توفاه اللَّه) تعالى بصنعاء ليلة الاثنين بعد أذان العشاء، وهي الليلة المسفرة عن رابع شهر ذي القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف، ولم يباشر شيئاً مما يتعلق بالقضاء قبل موته بنحو سنتين، بل تجرّد للاشتغال بالطاعة والمواظبة على الجمعة والجماعة، ولم يكن له التفات إلى غير أعمال الآخرة رحمه اللَّه. وترك ولدين أكبرهما مُحمَّد وهو جامع هذا الكتاب، ويَحْيَى، وهو الآن مشتغلٌ بقراءة علوم الاجتهاد قد انتفع في أنواع منها، مع كمال اشتغاله بعلم الفروع. وهو ذُو فَهْم صادق وعقلٍ رصين ودينٍ متين، ولعلها تأتي له ولأخيه المذكور ترجمة مستقلة لِكلّ واحدٍ منهما في حرفه إن شاء اللَّه تعالى.

(٣٢٦)

(السيد عَليُّ بن مُحمَّد بن أبي القَاسِم)[1]

ابن مُحمَّد بن جَعْفَر بن مُحمَّد بن الحُسَيْن بن أحمد بن يَحْيَى بن عَبْداللَّه بن

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥/٨؛ معجم المؤلفين: ٧/٢٢٦.

يَحْيَى بن الناصِر بن الهادي يَحْيَى بن الحُسَيْن العلَّامة الكبير مؤلف «تجريد الكشاف» التفسير المشهور. وَرُوي أنَّ له تفسيراً حافلاً في ثمانية مجلدات. ومن جملة تلامذته السيد العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم الوزير، ولكنه لما اجتهد السيد مُحمَّد المذكور ورفض التقليد، وتبحّر في المعارف قام عليه صاحب الترجمة في جملة القائمين عليه، وترسَّل عليه برسالة تدل على عدم إنصافه ومزيد تعصبه سامحه اللَّه. وأجاب السيد مُحمَّد عن هذه الرسالة «بالعواصم والقواصم» الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في هذه الديار اليمنية مثله، وهو في ثلاثة مجلدات كبار. وكان صاحب الترجمة يقرئ الطلبة في جميع علوم الاجتهاد، وفي الأمهات، وسائر كتب التفسير، و(مات) سنة ٨٣٧ سبعٍ وثلاثين وثمانمائة[١].

٣٢٧

(الإمام المهدي عَليُّ بن مُحمَّد بن عَلّيّ)[٢]

ابن مَنْصُور بن يَحْيَى بن مَنْصُور بن مُفضّل بن الحجّاج بن عَليّ بن يَحْيَى بن القَاسِم بن يُوسُف الداعي ابن يَحْيَى بن المَنْصُور بن أحمد بن النَّاصِر بن الهادي يَحْيَى بن الحُسَيْن. ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٧٠٥ خمسٍ وسبعمائة في هجرة من جهات الهان. ونشأ على ما نشأ عليه سلفه الصالح من الاشتغال بالعلم والعمل. ثم دعا إلى نفسه فَبُويع بالخلافة في شهر جمادى الآخرة سنة (٧٥٠) في مدينة ثلا، واجتمع الناس عليه حتى قيل إن العلماء الذين حضروا بيعته يزيدون على خمسمائة، وعارضه الواثق باللَّه المطهر بن مُحمَّد، وشمس الدين أحمد بن عَليّ بن أبي الفَتْح، ثم أذعن له الواثق. وأما السيد شَمْس الدين فلم يزل على دعوته وافتتح صنعاء وملكها وملك صعدة وذمار وما بين هذه المدن، ودانت له البلاد، واستمر على ذلك حتى ابتدأه الفالج في سنة (٧٧٢) في ذمار وكان ولده مُحمَّد قائماً بالأمور ناظماً للأحوال، ثم نهض القاضي العلَّامة عبد اللَّه بن الحَسَن الدواري من صعدة في المحرم سنة (٧٧٣) فوصل إلى ذمار ومعه جماعة من السادة والعلماء، وأجمع رأي القاضي ومَنْ معه على أن لا يصلح للإمامة إلّا ولده الإمام مُحمَّد المذكور، فلما سمع ذلك تباعد عنه واعتذر، فلم يعذروه وألزموه الحجّة، فقام بالإمامة بعد أن بايعوه، وتَكنَّى بالنَّاصِر، واشْتُهِر بِصَلاح الدين، وستأتي له إن شاء اللَّه ترجمة مستقلة في حرفه.

(١) كان مولد صاحب الترجمة سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٢٢٣؛ الأعلام: ٥/ ٦.